مدرسة الإسكندرية

مدخل إلى

كتاب الإبصلمودية المقدسة السنوية

القس الدكتور غريغوريوس رشيدي

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد السابع - ٢٠١١

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٧

مدخل إلى كتاب الإبصلمودية المقدسة السنوية (١)

دكتور مجدي رشيدي بشاي عوض

مدخل إلى كتاب الإبصلمودية المقدسة السنوية[١]

د. مجدي رشيدي بشاي عوض
دكتوراه في العلوم اللاهوتية
جامعة أرسطو- اليونان
magdihalle@alexandriaschool.org

معنى المصطلح

لاشك أن كتاب الإبصلمودية المقدسة يمثل ـ مع كتابي الأجبية والخولاجي ـ أكثر وأهم الكتب الليتورجية المستخدَمة بشكلٍ يومي في الكنيسة القبطية. ولكتاب الإبصلمودية مكانةٌ خاصة في الأديرة القبطية، فهو يمثل الوجبة الرئيسة في التسبيح والعبادة، سواء في تسبحة العشية أو تسبحتي نصف الليل وباكر.

في البداية لابد أن نُعَرِّف المعنى اللُّغوي والاصطلاحي لكلمة "إبصلمودية". فكلمة "إبصلمودية" هي كلمة يونانية ψαλμωδία، وتُكتب في القبطية ⲯⲁⲗⲙⲱⲇⲓⲁ، وتتكون من دمج كلمتين، وهما: ψαλμός بمعنى مزمور أو تسبحة أو ترتيلة[٢]، والكلمة ᾠδή بمعنى أغنية أو ترتيلة. وترد في الكتاب المقدس والنصوص الليتورجية بمعنى ترتيلة أو تسبحة للرب[٣]، فكلمة "إبصلمودية" هنا تعني في مجملها ومعناها العام "المزامير المرتلة أو الملحنة"[٤]، أو "ترتيل المزامير"[٥].

---

[١] هذا المقال كان يجب ان يكون هو بداية الدراسة عن الإبصلمودية المقدسة وكل قطعها وكذلك الكلام عن الثيؤطوكيات، وكان يجب أن يكون مدخلاً لهذا الموضوع الهام بالنسبة لدراسة الثيؤطوكيات القبطية السبع، ولكنه تأخر ليكون رابع مقال في هذه السلسة من الدراسة، لذا لزم التنوية.

[٢] انظر على سبيل المثال:
Walter Bauer, *Greek-English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature*, 2ed edition, London 1979, p. 891.

[3] Walter Bauer, Ibid, p. 895.
انظر أيضًا رشدي واصف بهمان، علم اللاهوت الطقسي التطبيقي العملي، (الطبعة الثانية، بدون تاريخ) ، ص ٢٠.

[4] O. Brodde, Psalmodie, in: *Kirchlich-theologisches Handwörterbuch*, vol. 3, p. 387.

[5] G.W.H Lampe, *Patristic Dictionary*, 12th ed., Oxford 1995, p. 1540.

يقول القديس بولس الرسول في سياق وصفه لخدمة الليتورجية الأولي: «مكلمين بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب، شاكرين كلَّ حينٍ على كل شيء» (أف ٥: ١٩). وكلمة ψάλλοντες بمعنى "مرتلين" مشتقة من الفعل اليوناني ψάλλω أي "يرتل"، وكلمة εὐχαριστοῦντες أي "شاكرين" مشتقة من الفعل اليوناني εὐχαριστῶ أي "يشكر"، والكلمتان تشيران إلي خدمتي الإبصلمودية والإفخارستيا[٦].

والمصطلح "إبصلمودية" يعني في معناه العام "كتاب التسابيح الكنسية" أو "كتاب التسبيح المستخدم في الكنيسة الأولى". ولقد اِسْتُخْدِم هذا المصطلح في الكتابات المسيحية بهذين المعنيين، وهما: "كتاب خاص بالتسابيح" أو "كتاب التسابيح"[٧]. وهذا المصطلح هو إشارة إلى ترتيل المزامير في وقتٍ مبكر في الجماعات المسيحية والتي كانت تتبع طقس المجمع اليهودي في بداية تكوينها[٨].

أما مصطلح "الإبصلمودية" في الكنيسة القبطية الآن فهو يشير إلى كتابٍ ليتورجي بعينه مُستخدَم في العبادة وفي كثيرٍ من طقوسها وصلواتها الليتورجية، لا سيما تسبحة عشية وتسبحتي نصف الليل وباكر، وذلك بشكلٍ يومي في الأديرة القبطية. وكتاب الإبصلمودية هو كتاب التسبحة الذي يحتوي على الهوسات الأربعة، والسبع إبصاليات، والسبع ثيؤطوكيات ... إلخ. وتمثل الهوسات الأربعة مع السبع ثيوطوكيات أقدم وأهم القطع في كتاب الإبصلمودية السنوية المقدسة المستخدمة حاليًّا في الكنيسة القبطية. لذا،

---

[٦] رشدي واصف بهمان، *المدخل إلى علم اللاهوت الطقسي، طقوس الكنيسة الأرثوذكسية*، القاهرة ١٩٩٩، ص ٤٨.

[7] Emile Maher Ishaq, Psalmodia, in: *The Coptic Encyclopedia*, vol. 7, New York 1991, p. 2024; Ad. Hebbelynck, Une fragment de Psalmodie du manuscrit Vatican copte 23 en dialecte bohairique, in: *Revue d'Etudes Orientales*, Tome XLIV, Louvain 1931, p. 153.

[٨] لمعرفة المصطلح إبصلمودية في معناه العام انظر:

G.D.W. Randall, Psalmody, in: *Dictionary of liturgy and worship,* ed. J[ohn] G[ordon] Davies, London 1972, pp. 450-452; O. Brodde, Psalmodie, in: *Kirchlich-theologisches Handwörterbuch*, vol. 3, pp. 387-388; Adolf Adam and Rupert Berger, *Pastoralliturgisches Handlexikon*, Freiburg 1980, reprint Leipzig 1982, pp. 437-439; Konrad Onasch, *Liturgie und Kunst der Ostkirche in Stichworten unter Berücksichtigung der Alten Kirche*, Leipzig 1981, pp. 317-319.

فكل قطعة أو مديح ورد فيه يمثل جزءًا عزيزًا وغاليًا ومهمًّا من تراث وتاريخ التسبيح والعبادة في الكنيسة القبطية.

والإبصلمودية تمثل الجزء الرئيس في الاجتماع الصغير، وهو التسبحة التي تُقال في العشية، ونصف الليل، وباكر، أو المزامير العامة الموجودة بكتاب الأجبية. فالإبصلمودية هي جزء من السيناكس الصغير، والذي يشتمل على صلوات السواعي، والإبصلمودية كاستعدادٍ للسيناكس الكبير، الذي هو الليتورجية الإلهية[٩].

يوجد الآن كتابان للإبصلمودية: الأول هو كتاب الإبصلمودية السنوية المقدسة، ويُستخدم طوال العام في عشية ونصف الليل وباكر، وكذلك في كثير من الطقوس القبطية الأخرى، والثاني هو كتاب الإبصلمودية الكيهكية، ويُستخدم في تسابيح شهر كهيك، ويشتمل على كل القطع الرئيسية في الإبصلمودية السنوية، مثل: الهوسات، والثيؤطوكيات، والذوكصولوجيات، بالإضافة إلى مدائح، وإبصاليات، وقطع خاصة بشهر كيهك[١٠].

استخدام المزامير

كما ذكرنا، فإن المعنى اللغوي والاصطلاحي للإبصلمودية في مجمله هو ترتيل المزامير. إذن، فالمزامير تلعب الدور الرئيس في التسبيح والصلاة، سواء في الكنائس الخاصة بالمؤمنين أو في الأماكن الخاصة بالتجمعات الرهبانية. لذا، لابد لنا في البداية أن نشير بإيجازٍ إلى استخدام سفر المزامير بصفة عامة، سواء في التسابيح والعبادة أو في الاستخدام الليتورجي في التقليد المسيحي في

---

[٩] تتكون الصلاة العامة في الكنيسة القبطية من اجتماعين: الاجتماع الكبير، وهو خدمة ليتورجية الإفخارستيا (القداس الإلهي) الموجودة بكتاب الخولاجي، والاجتماع الصغير. ومن أجل التسبحة يوجد كتابان رئيسان، هما: الإبصلمودية السنوية المقدسة، والإبصلمودية الكيهكية المقدسة. انظر رشدي واصف بهمان، *مصادر وتاريخ ليتورجيات كنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية*، الجزء الأول، القاهرة ٢٠٠٤، ص ١٧، ١٨.

[١٠] شهر كيهك هو الشهر الرابع في السنة القبطية، وتخصصه الكنيسة القبطية للاحتفال بالتجسد الإلهي وتمجيد العذراء الثيؤطوكوس، وتقيم لذلك تسابيح خاصة مساء طوال الشهر. سوف يكون هناك مقالة خاصة بتسابيح شهر كهيك والإبصلمودية الكيهكية فيما بعد.

القرون الأولى، سواء في الشرق أو الغرب.

البداية سوف تكون من العهد الجديد، من حياة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، فهو أول من استخدم المزامير، وذلك عند إتمامه لطقس الفصح اليهودي، فقد كانت هناك مزامير لابد أن تُرتَّل في الفصح، وهي: من المزمور الثالث إلى المزمور الثامن عشر. وقد شارك المخلصُ له المجد في كل الأعياد اليهودية أثناء حياته على الأرض ، وتمَّم كلَّ برٍّ. ليس هذا فحسب، بل استخدم السيدُ المسيحُ المزاميرَ في أهم الأوقات في حياته على الأرض، فعندما كان على الصليب استخدم المزمور ٢٢: ١ «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» (متى ٢٧: ٤٦)، وكذلك عندما كان على الصليب خاطب الآبَ قائلاً: «يا أبتاه، في يديك أستودعُ روحي» (لوقا ٢٣: ٤٦)، وهي آية مأخوذة من مزمور٣١: ٥.

بعد ذلك استخدم الآباءُ الرسلُ المزاميرَ في كرازتهم، فقد اقتبس القديسُ بطرسُ من سفر المزامير في عظته التي ألقاها بعد حلول الروح القدس (أع ٢: ١٤ ـ ٤١). وهنا نرى التفسير المسيحي للمزامير ـ الذي بدأ بالآباء الرسل أنفسهم ـ والذي يرى المزاميرَ ويفهمها من خلال الخلاص الذي صنعه الرب. وهنا يبرز كذلك الاستخدام الخريستولوجي للمزامير، والذي استمر بعد ذلك أيضا في الكنيسة، وظهر واضحًا من خلال تفاسير الآباء لسفر المزامير، كما نراه على سبيل المثال عند القديس أوغسطينوس، الذي رأى في آيات المزمور الأول أنها تنطبق على السيد المسيح، فالطوباوي أو الرجل المطوَّب، كما ورد في أول آية من المزمور الأول، لا يمكن أن يكون شخصًا آخر غير المسيح، وكذلك في الآية الثالثة من نفس المزمور فإن يسوع هو الشجرة المغروسة على مجاري المياه[١١].

أما عن الاستخدم الليتورجي للمزامير فهذا قد عرفته الكنيسةُ أيضًا في الشرق والغرب على حدٍّ سواء. فقد حدَّدت الكنيسةُ مزاميرَ معينة في

---

[11] Robert Davidson, Psalms, in: *The Oxford Companion to Christian Thought*, ed. Adrian Hastings, Oxford 2000, p. 576.

لمعرفة آباء الكنيسة الذين كتبوا عن المزامير وفسروها انظر:

Lapme, *A patristic Greek Lexicon*, pp. 1539-1540.

الاستخدام الليتورجي، فقد كان مزمور ٣٢ خاص بالمعمودية، ومزمور ٣٤ خاص بالإفخارستيا، ومزمور ٢٢ في يوم الجمعة العظيمة[١٢]. والجميل أن كنيستنا لا تزال تستخدم هذا المزمور في صلوات الساعة السادسة في يوم الجمعة العظيمة[١٣].

وإلى الآن لا تزال كنيستنا القبطية تسخدم سفر المزامير، سواء في الصلوات الليلية والنهارية الموجودة في كتاب الأجبية، أو في سائر طقوسها. فيكفي أننا في كل ليتورجية نقرأ ثلاثة اقتباسات من سفر المزامير قبل قراءة الإنجيل، وذلك في عشية، وباكر، وفي القداس. كذلك استخدامنا لسفر المزامير في أسبوع البصخة واضح بشدة، ففي كل ساعة من ساعات البصخة يُطرح المزمور بلحنٍ خاص لشَدِّ الانتباه، وهو اللحن المعروف بالأدريبي، ويُفَسَّر بعد ذلك عربيًّا قبل قراءة الإنحيل، كما نفعل في صلاة القداس. ويمكننا أن نرى ذلك في جميع طقوس الكنيسة القبطية الأخرى، فعلى الأقل لا بُدَّ أن تُقرأ آيةٌ أو أكثر من سفر المزامير قبل قراءة فصل الإنجيل.

يعطي آباءُ الكنيسة مكانةً خاصة للهوسات والألحان والتسابيح كاستعداد عقلي أو نشاط روحي، فكانت تُستخدَم التسابيح منذ العصور المبكرة للكنيسة، سواء المأخوذة منها من التسابيح الكتابية من العهد القديم أو تلك التي كُتبت متأثرة بها. ونجد هذا عند الآباء المدافعين ومَن بعدهم[١٤].

---

[12] See Robert Davidson, Psalms, in: *The Oxford Companion to Christian Thought*, ed. Adrian Hastings, Oxford 2000, p. 576.

للمزيد عن استخدام المزامير في العبادة، سواء في العهد القديم أو الجديد، وطرق تقسيم المزامير، وتاريخ استخدامها في العبادة، انظر على سبيل المثال:

The Interpreters Dictionary of the Bible, an Illustrated Encyclopedia, vol. 3, 13th printing, Nashville (USA) 1982, pp. 942-960; *The Oxford Dictionary of the Christian Church*, ed. F.L. Cross, reprinted 1985, pp. 1139-1141; *Encyclopedia of Early Christianity*, ed. Everett Ferguson, New York, London 1990, pp. 763-765; *The Oxford Companion to Christian Thought*, ed. Adrian Hastings, Oxford 2000, pp.575-577; *A Dictionary of Christian Antiuqities*, London 1880, vol. 2, pp. 1742-1755: *The Anchor Bible Dictionary*, vol. 5, pp. 522-537.

[١٣] انظر مزامير الساعة السادسة والتاسعة في يوم الجمعة العظيمة.

[١٤] انظر على سبيل المثال: يوستينوس الشهيد، الدفاع ١٣: ٢، أغناطيوس الشهيد، رومية ٢: ٢ وأفسس ٤: ١. لمعرفة التسابيح واستخداماتها، سواء في العهد القديم أو الجديد، وفي الكنيسة الأولى انظر:

Theological Dictionary of the New Testament, ed. Kittel and Friedrich, vol. 8, Germany-Michigan 1982, pp. 489-503 (for the Hymn).

كذلك فإن أكثر أسفار العهد القديم اقتباسًا في العهد الجديد هو سفر المزامير، وفي الليتورجيا فإن سفر المزامير يحتل مكانةً مميَّزة في السيناكس الصغير، الذي هو ليتورجية الكلمة، وهو جزء يسبق السيناكس الكبير، الذي هو الإفخارستيا.

ولنا بعد شهادة المخلص نفسه والآباء الرسل في العهد الجديد شهادة كثيرٍ من الآباء على استخدام المزامير في اجتماع يوم الأحد، منهم على سبيل المثال: ديديموس الضرير، وهيبوليتيس، ويوحنا فم الذهب الذي يتكلم عن اجتماع المؤمنين وترتيلهم للمزامير، وترتليان، ويوسابيوس، وكيرلس الأورشليمي، وأمبروسيوس[١٥]. كذلك هناك شهادات أخرى على استخدام المزامير في الخدمة اليومية، وفي المعمودية، وفي موائد الأغابي، وفي الجنازات. كذلك لاننسى استخدام المزامير في التجمعات الرهبانية.

طقس السهر والتسبيح في الكنيسة القبطية[١٦]

بعد أن استعرضنا استخدام المزامير في العهد الجديد والليتورجية، نأتي الآن إلى استخدام المزامير في التسبيح والسهر. في البداية لا بُدَّ أن نقول أنَّ استخدام المزامير في صلاة الليل والتسبيح معروفٌ منذ القديم في الكنيسة المسيحية، ولنا في ذلك الكثير من الشهادات. وكان استخدام المزامير في النهار أو في سهر الليل معروفًا منذ القرون الأولى في مصر، خاصة في التجمعات الرهبانية، سواء في مصر العليا (صعيد مصر) أو في مصر السفلى في وادي النطرون والإسكندرية. وطقس السهر هو طقس قديم جدًّا في

---

[15] See Psalms, in: *Encyclopedia of Early Christianity*, ed. Everett Ferguson, New York, London 1990, pp. 764-765.

[١٦] الشهادات عن سهر الليل والتسابيح واستخدام المزامير في التسبيح والترتيل كثيرة، وقد ورد معظمها بنصه عند كل الذين كتبوا عن هذا الموضوع، سواء في اللغات الأوربية أو من كتبوا بالعربية، وسوف أكتفي هنا في هذا المقال ببعضها. لمعرفة هذه الشهادات، انظر على سبيل المثال:

Hans Quecke, *Untersuchungen zum Koptischen Stundengebet* (Publications de l'Institut orientaliste de Louvain, No.3), Louvain 1970; Robert Taft, *The Liturgy of the Hours in East and West. The Origins of the Divine Office and its Meaning for Today*, Collegeville, Min. 1986. Maged S.R. Hanna, *Το Ωρολογιον της κοπτικης ορθοξοδος εκκλησιας*, Αθηνα 2005.

الأب متى المسكين، *التسبحة اليومية ومزامير السواعي*، الطبعة الثانية، دير القديس أنبا مقار ١٩٧٩؛ أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية)، *تسبحة نصف الليل والسحر*، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٥.

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، يرجع إلى القرون الأولى للمسيحية في مصر.

والشهادات على وجود التجمعات الرهبانية في مصر واستخدامها للمزامير والتسابيح ليلاً ونهارًا قدَّمها لنا إيرونيموس (ت ٤٢٠)، ويوحنا كاسيان (ت ٤٣٣)، وبلاديوس، وروفينوس الذي زار مصر سنة ٣٧٣ م وأخبرنا أنَّه في منطقة أرسينوي (الفيوم) يوجد أكثر من عشرة آلاف راهب، حتى إنَّ المزامير والتسابيح لا تنقطع ليلاً أو نهارًا، وقد جعلت كلَّ مصر هيكلاً للّه[١٧]. والسهر الليلي كان معروفًا، كما ذكرنا، بين الرهبان في مصر، ولدينا شهادة يوسابيوس القيصري في عمله الهام "تاريخ الكنيسة" (ك ٢، ف ١٧،٢١)، وهو ينقل لنا شهادة فيلون اليهودي الإسكندري عن θεραπεῖες (ثيرابيوتا) الذين يبدون وكأنهم صورة للطقس الرهباني الأول في صحراء مصر[١٨].

كذلك هناك شهادة القديس باسيليوس الكبير عن سهر الليل في مصر، وعن الجماعات الرهبانية في مصر انتقلت خدمة التسبيح إلى كل العالم. وشهادة القديس باسيليوس الكبير (ق ٤) شهادة قوية في هذا الصدد، وذلك لأن القديس باسيليوس الكبير يقرر في رسالته إلي إكليروس كنيسة قيصرية، عندما هُوجم بسبب طقس السهر الذي وضعه، أنَّه أخذ هذا النظام من مصر، فيقول : "إنَّ فضيلةً من هذا النوع موجودة الآن في مصر .... والعادة التي حصلنا عليها الآن موافِقة لما يحدث في كافة كنائس اللّه، فالشعب يذهب إلي بيت الصلاة في الليل، وفي انحصار وحزن ودموع متواصلة يعترفون أمام اللّه، وأخيرًا يقومون من الصلاة ويبدأون بتسبيح المزامير، وذلك بأنْ ينقسموا أولاً إلي فريقين ليرددوا التسابيح مقابل بعضهما البعض .... وبعد ذلك يسلمون مطلع اللحن إلى واحد وبقية الجماعة ترد. وهكذا يقضون بقية الليل في تسابيح متعددة، تتخللها صلاة من حين لآخر. وحينما يشرق الفجر، تَرْفَع

---

[17] Maged S.R. Hanna, Ibid, p. 83.

[١٨] لمعرفة وصف فيلو لهؤلاء النساك انظر يوسابيوس القيصري، *تاريخ الكنيسة*، ترجمة القمص مرقس داود، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٩، ص ٩٠-٩٤؛ الأب متى المسكين، *التسبحة اليومية ومزامير السواعي*، الطبعة الثانيـة، ديـر القديس أنبا مقار ١٩٧٩، ص ٧٠ -٧١.

الجماعةُ كلُّها بصوتٍ واحدٍ وقلبٍ واحدٍ مزمورَ الاعتراف للّه، وكل واحد يعبر عن توبته بشعوره الخاص. فإنْ كنتم ترفضونني، فأنتم إنما ترفضون المصريين والطيبيين، بل والليبيين والفلسطينيين والعرب وأهل فينيقيا (لبنان) وسوريا وسكان الفرات، أو بعبارة أخري ترفضون كلَّ مَن صار عندهم سهر الليل والصلوات وتسابيح المزامير كرامةً ومجدًا" (الرسالة ٢٠٧)[١٩].

وقد أشار القديسُ أثناسيوس الرسولي في دفاعه عن سبب هروبه إلي طقس السهر (الإبصلمودية)، وأشار أيضًا إلي طريقة ترتيل الهوس الثاني، قائلاً: "وأحاط سيريانوس وأوقف عساكره علي أهبة الاستعداد حتي لا يفر أحدٌ من الكنيسة ... أما أنا فجلست علي الثرونوس وأشرت إلي الشماس ليقرأ مزمورًا والشعب يجاوبه: لأن إلي الأبد رحمته" (PG 25. 676 A)[٢٠].

لقد كان الرهبان يتممون عبادتهم في القرون الأولى مستخدمين المزامير فقط، وفي يوم الأحد كان يأتي إليهم أقربُ كاهنٍ لكي يقيم لهم صلاة الليتورجية الإلهية حتى يشتركوا في الجسد المقدس والدم الكريم اللذين لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. فصلاة الليل أو نصف الليل كانت معروفة قديمًا في مصر، وعن هذه الصلاة توجد لدينا شهاداتٌ كثيرة، فيوسابيوس القيصري يعطينا شهادته في عمله المعروف "تاريخ الكنيسة"، وكذلك نجد شهادةً أخرى عن صلاة الليل في حياة القديس باخوميوس. وبالإضافة إلى ما ذكرناه، نجد أيضا شهادات عن صلاة نصف الليل في التقليد الرسولي لهيبوليتس الروماني، وعند يوحنا كاسيان، والسائحة إيجيريا عندما أخبرتنا عن زيارتها لفلسطين، وكذلك في عظات القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين، وحياة القديس سمعان العمودي، والقديس يحنس كاما. وبحسب شهادة "فان دير مينسبروجه" فإن هذه الصلوات كانت تبدأ حوالي الساعة الثانية بعد نصف الليل وتنتهي قبل شروق الشمس. والشهادات عن صلاة نصف الليل ليست من القرون الأولى فقط، بل هناك أيضًا شهادات عن صلوات

[١٩] رشدي واصف بهمان، *المدخل إلى علم اللاهوت الطقسي، طقوس الكنيسة الارثوذكسية*، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٤٨.
[٢٠] المرجع السابق، ص ٤٨ ،٤٩.

السواعي، بما فيها صلاة نصف الليل، من الآباء الأقباط من العصر الوسيط، فساويروس بن المقفع وسمعان بن كليل والصفي بن العسال وابن كبر وابن سباع، كلهم قد تكلموا عن صلوات السواعي وترتيب مزاميرها.

ولأنَّ تسابيح الكنيسة هي جزءٌ أساسي في عبادتها، فهي كنيسة تُصلي وتعبد الله في تسبيح، ولا سيما الجماعات الرهبانية التي كانت ولا تزال تعتمد في قانون عبادتها بشكل أساسي على التسبيح والترتيل بالمزامير، الذي صار سمةً هامة من سماتها[٢١].

كتاب الإبصلمودية المقدسة في الكنيسة القبطية

كتاب الإبصلمودية هو كتاب التسبيح اليومي المستخدَم الآن في الكنيسة القبطية، وهو يُستخدَم إلى الآن بشكل يومي ـ كما ذكرنا سابقًا ـ في الأديرة القبطية في صلوات وتسابيح عشية ونصف الليل وباكر. إن أقدم إشارة عن كتاب إبصلمودية (تسابيح) ومؤلفها نجدها في القرن الثالث الميلادي عند البابا ديونوسيوس الإسكندري (٢٨٤ ـ ٢٦٥) عندما أرسل رسالةً إلى أسقف مدينة أرسينوي (الفيوم) يمتدح غيرته وتعبه في تأليف الإبصلمودية، ويقول عنه إنه قبل إيمانه ويحبه في آن معًا لإيمانه وجهاده وصبره في الدراسة في الكتب الإلهية، وأيضا عظيم جهده في الإبصلمودية، التي بواسطتها يبتهج الآن كثيرٌ من الإخوة[٢٢].

---

[٢١] انظر هذه الشهادات في:

Maged S.R.Hanna, *Το Ωρολογιον της κοπτικης ορθοξοδος εκκλησιας*, Αθηνα 2005, pp. 85-108.

[22] "... ἀποδέξομαι καί ἀγαπῶ Νέπωτα τῆς τε πίστεως καὶ τῆς φιλοπονίας καὶ τῆς ἐν ταῖς Γραφαῖς διατριβῆς· καὶ τῆς πολλῆς ψαλμωδίας, ἡ μέχρι νῦν πολλὶ τῶν ἀδελφῶν εὐθυμοῦνται", Dionysii Episcopi Alexandrini, PG 10, 1233A-1236A.

انظر أيضًا

ANF, vol. 6, p. 81: "I accept the opinion of Nepos, and love him at once for his faith, and his laboriousness, and his patient study in the Scriptures, as also for his great efforts in Psalmody, by which even now many of the brethren are delighted."

ويعطينا العالِم Lampe في قاموسه الآبائي الشهير بيانًا بالآباء الذين ذكروا كلمة "إبصلمودية" بمعناها العام، فعلى سبيل المثال نجد هذا المصطلح قد ورد ذكره عند كليمنضس في كتابه المربي ٢: ٤ (PG 8:444B)، وباسيليوس (PG 29:212D)، ويوسابيوس (PG 20:444B)، ويوحنا ذهبي الفم (PG 20:444B)، وإبيفانيوس (PG 8:444B) وغريغوريوس النيصي (PG 8:444B). انظر Lampe, Ibid., p. 1540

لا نعرف بالتحديد ماذا يعني النص هنا بمصطلح "الإبصلمودية". هل هو كتاب الإبصلمودية الحالي؟ أم هو كتاب قديم لم يعد موجودًا الآن؟ هل هناك علاقة بين هذا الكتاب القديم والإبصلمودية الحالية؟ من الواضح أنَّه كتابٌ مستقل وليس هو كتاب المزامير؛ لأن البابا ديونوسيوس يذكر الأسقف نيبوس مِرارًا كمؤلفٍ للكتاب. من المؤكد إذن أنه ليس كتاب الإبصلمودية بشكله الحالي.

الإبصلمودية لها علاقة وثيقة بصلاة الليل، وخصوصًا صلاة نصف الليل. هنا لابد لنا أن نعرف كيف كانت صلاة الليل في مصر، وكيف كان البناء الليتورجي في ذلك الزمان. كانت صلاة نصف الليل معروفةً في مصر منذ زمنٍ بعيد، فصلاة الليتورجية تبدأ عادةً من مساء السبت وتنتهي الأحد باكرًا. بالتأكيد كان يُرتَّل ويُسَبَّح طوال الليل حتى إقامة الليتورجيا. ففي الأدب القبطي نقرأ في مواضع كثيرة عن صلاة الليل، وبعض النصوص تجعلنا نعتقد أن المسيحيين قد اعتادوا أن يقضوا الليل كله في التسبيح والترتيل والعبادة، فعلى سبيل المثال هذا ما نقرأ عنه في سيرة البابا إسحق، وأيضا في كتابات يوحنا ذهبي الفم (ep. I ad Timoth. Homil. 14,4; PG 62, 576)[٢٣].

وبداية الصلاة في بداية الليل بالنسبة للرهبان موثقة ومعروفة، سواء في صعيد مصر أو في الدلتا، فنحن نقرأ عن تجمعات للعذارى، سواء في كتابات البابا أثناسيوس أو مؤلفات الأنبا شنوده رئيس المتوحدين[٢٤].

هناك شهادات كثيرة عن صلاة نصف الليل في مصر. يصف لنا كاسيان صلاة نصف الليل وصلوات السواعي الأخرى في مصر في القرنين الرابع والخامس[٢٥]، ونقرأ عن صلوات نصف الليل عند القديسَيْن الأنبا باخوميوس والأنبا شنودة رئيس المتوحدين[٢٦].

---

[23] Hans Quecke, *Untersuchungen zum Koptischen Stundengebet* (Publications de l'Institut orientaliste de Louvain, No. 3), Louvain 1970, p. 149, n. 13.
[24] Quecke, Ibid, p. 150, n. 14.
[25] See Jean-Claude Guy, Institutions; Quecke, Ibid, pp. 151-154.
[26] Quecke, Ibid, p. 154-161.

وفي سيرة الأنبا أفو أسقف البهنسا من القرن الرابع، وكان معاصرًا للبابا ثيؤفيلس، نقرأ ما يلي: "ولما بدأ في الأسقفية، شرع أيضًا في ممارسات أخرى هكذا: طوال مدة الأسقفية لم ينم ليلةً واحدة في المدينة، ولم يأكل فيها البتة في يومٍ ما خبزةً واحدة، بل بقي وحده في ديرٍ خارج المدينة. أما في السبوت فكان يأتي إلى الكنيسة، ويجمع الشعب، ويكلِّمهم بكلمة الله إلى المساء. وكانوا يقضون ليلة السبت يحتفلون بقداساتهم مع صلواتهم ومزاميرهم وهو واقف بينهم أثناء الليتورجية المقدسة. وكان يعلِّمهم إلى وقت الساعة السادسة من يوم الأحد، ثم يعتزل ثانية في ديره إلى السبت (التالي)"[٢٧].

ولدينا في سيرة القديس يحنس كاما شهادة أخرى على ترتيل الإبصلمودية حيث كان على الرهبان أن يرتلوا معًا الإبصلمودية والتسابيح (الهوسات) الروحية من نصف الليل حتى ظهور أول ضوء من النهار:

«ⲁⲩⲥⲉⲙⲛⲓ ⲛⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲟⲩⲙⲁ ⲛ̀ⲁⲱⲟⲩⲧ̀ ⲉⲃⲣⲱⲟⲩⲧ̀ ⲉⲣⲟϥ ϧⲉⲛ ⲧⲫⲁϣⲓ ⲛ̀ⲧⲡⲓⲉⲭⲱⲣⲉ ⲟⲩⲟⲉ ⲛ̀ⲥⲉⲭⲱ ⲯⲁⲗⲙⲱⲇⲓⲁ ⲛⲉⲙ ϩⲁⲛϩⲱⲇⲏ ⲛ̀ⲧⲛ̄ⲛⲁⲧⲓⲕⲟⲛ ϣⲁⲛⲧⲉⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ϣⲁⲓ»

وترجمته: "وشيَّد لهم مكانًا للاجتماع ليجتمعوا فيه في نصف الليل ويرتلوا الإبصلمودية وتسابيح روحية إلى أن يشرق نور (النهار)"[٢٨].

نحن لا نعرف ما هو المقصود هنا بعبارة ⲯⲁⲗⲙⲱⲇⲓⲁ ⲛⲉⲙ ϩⲁⲛϩⲱⲇⲏ "الإبصلمودية وتسابيح (هوسات)". هل هي ببساطة سفر المزامير؟ أم هناك كتاب خاص مستخدم لصلاة نصف الليل؟ فإذا كان المقصود بمصطلح ϩⲁⲛ ⲯⲁⲗⲙⲱⲇⲓⲁ "الإبصلمودية" كتاب المزامير، فما هو المقصود بالمصطلح ϩⲁⲛ ϩⲱⲇⲏ ⲛ̀ⲧⲛ̄ⲛⲁⲧⲓⲕⲟⲛ أي "تسابيح (هوسات) روحية"؟.

المقصود هنا في النص بوضوح صلاة أو خدمة روحية محددة تبدأ من نصف

---

[٢٧] سيرة القديس أفو، الترجمة عن اللغة القبطية: صموئيل قزمان معوض، *إطلالات على تراث الأدب القبطي*، تحت الطبع. للاطلاع على النص القبطي للسيرة كاملة انظر:

Francesco Rossi, *Trascrizione di tre manoscritti Copti del Museo Egizio di Torino, con traduzione italiana* (Memoire della Reale Accademia delle Scienze di Torino, Serie II, 37), Turin 1885, pp. 5-22; *Le Muséon* 77 (1974), 115-127.

[28] PO. Tomus 14, p. 352.

الليل حتى شروق الشمس. هذه الخدمة تتكون من المزامير والتسابيح، وربما بعض التسابيح والتراتيل الأخرى.

في موضع آخر تخبرنا السيرة عن الصلاة الليلية: "لما استيقظ الإخوة ليلاً لكي يسبحوا، ظهر لهم أبونا أثناسيوس"[٢٩].

وهناك شهادات أخرى عن قيام الإخوة وتسبيحهم لصلاة نصف الليل[٣٠]. هنا نفهم أنها صلاةٌ قائمةٌ بذاتها خاصة بسهر الليل. ولكن السؤال هنا: ماذا كان شكل هذه الصلاة؟ هل هي فقط لترتيل المزامير الكتابية كالتي ترد الآن في الأجبية المعاصرة؟ أم هي تسبحة مثل تسبحة نصف الليل كما هي في شكلها الحالي في الإبصلمودية؟ بالنسبة لي، هي مزيج من الاثنين، وإن كُنَّا لا نملك بالضبط ترتيب هذه الصلاة وكل القطع التي تُرتَّل فيها بجانب ترتيل المزامير الكتابية، أظن أنها مزيجٌ من الأجبية والإبصلمودية الحالية، كما هو الحال في تسبحة وصلوات نصف الليل في الأديرة القبطية الآن.

وعندنا شهادة أخرى من القرن الحادي عشر، فالراهب بيسوس Bessos الذي كان معاصرًا للبابا خريستوذولوس (١٠٤٧ ـ ١٠٧٧) يخبرنا أنه في نصف الليل أتى هو وأعطى علامةً لكي يقوم الرهبانُ لتلاوة الإبصلمودية المعتادة[٣١].

طبعات الإبصلمودية

طُبع كتاب الإبصلمودية لأول مرة سنة ١٧٦٤م في روما بواسطة روفائيل طوخي[٣٢]، وكان عنوانه "كتاب الثيؤطوكيات وكترتيب شهر كيهك"

---

[29] PO, Tomus 14, p. 353.

[30] «καί τῆ ὡρα τῆς νυκτερινῆς ψαλμωδίας συναχθέντων τῶν ἀδελφῶν». *Apophtegmata Patrum*, PG 65, 149A-B.

[31] Quecke, Ibid, p. 149.

[٣٢] روفائيل طوخي هو قبطي انضم للكنيسة الكاثوليكية من خلال الإرساليات الكاثوليكية التي جاءت إلى مصر، واسمه كاملاً هو روفائيل ميخائيل طوخي، وقد وُلِد في مدينة جرجا حوالي سنة ١٧٠٣م من أبوين أرثوذكسيين، وقد انضما إلى الكنيسة الكاثوليكية، هما وأولادهما عام ١٧١٤م. وسافر روفائيل إلى روما والتحق هناك بكلية نشر الإيمان، وأنهى دراسته بها، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت سنة ١٧٣٥م، ثم سيم قسًّا في يوم الأحد ٥ يونيو من نفس العام. وقد عاد إلى مصر واستقر بها بعض الوقت، ثم رجع إلى روما وسيم أسقفًا في ٢٧ سبتمبر ١٧٦١م وبقى بها حتى وفاته في ١٨ أكتوبر ١٧٨٧م. وقد قام بطبع مجموعة من الكتب الكنسية الليتورجية، وهي:

(ⲡⲓⲭⲱⲙ ⲛ̀ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲕⲁⲧⲁ ⲧⲁⲍⲓⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲁⲃⲟⲧ ϧⲟⲓⲁⲕ). ومن عنوانها يبدو أنها إبصلمودية خاصة بشهر كهيك، ولكنها لا تحتوي إلا على القليل جدًّا مما ورد في الإبصلمودية الكيهكية المعاصرة[٣٣]. طُبع كتاب الإبصلمودية السنوية في مصر لأول مرة عام ١٩٠٨م، وفي هذا العام صدرت طبعتان: واحدة في القاهرة، وقد قام على طباعتها العالِم أقلاديوس بك لبيب، وهي بعنوان "كتاب الإبصلمودية السنوية المقدسة"، وقد أعادت مطرانية بني سويف نشر الكتاب مِرارًا، وصدرت الطبعة الثانية في الإسكندرية، وقام على طباعتها القمص مينا البراموسي باسم "كتاب الإبصلمودية المقدسة السنوية، حسب طقس وترتيب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية"، عام ١٦٢٤ للشهداء الموافق لسنة ١٩٠٨ للميلاد. وقد أعاد دير السيدة العذراء (برموس) طباعتها أكثر من مرة بنفس الاسم. بعد ذلك توالت طبعات الإبصلمودية السنوية، مثل الطبعة التي قام عليها القمص عطا الله أرسانيوس المحرقي باسم "كتاب الإبصلمودية السنوية المقدسة"، القاهرة ١٩٦٠م، والتي هي إعادة لطبعة أقلاديوس لبيب. وهناك طبعة جمعية نهضة الكنائس بالقاهرة، وقد طبعت الكتاب مِرارًا كثيرة. وهناك الآن عدد من الطبعات الشعبية في أشكال وأحجام مختلفة، وبعضها يُرَكِّز فقط على تسبحة الأحد وليست فقط نهرين قبطي ـ عربي، بل هناك نهر آخر وهو القبطي المكتوب بحروف عربية، وهو ـ كما يظنون ـ بغرض تسهيل نطق النص القبطي على مَن يستخدمونها.

وقد اعتادت الطبعات الحديثة أن تعطي كتاب الإبصلمودية عناوين مختلفة ولكنها ليست بعيدة عن بعضها البعض، مثل: "كتاب الإبصلمودية" أو "كتاب الإبصلمودية المقدسة السنوية" أو "كتاب الإبصلمودية السنوية"، والعنوان الغالب هو "كتاب الإبصلمودية المقدسة". كذلك فالطبعات الحديثة

=الخولاجي عام ١٧٣٦، والأجبية عام ١٧٥٠، وأسفار العهد القديم عام ١٧٥٢، وكتاب السيامات والتكريسات، الجزء الأول منه عام ١٧٦١ والجزء الثاني عام ١٧٦٣، وكتاب الإبصلمودية عام ١٧٦٤، وكتاب مبادئ اللغة القبطية عام ١٧٧٨. وسوف يأتي الكلام عنه بتفصيل أكثر في المقالة القادمة بإذن الله.

[٣٣] سوف يكون مقالنا القادم بإذن الله مخصصًا للكلام عن هذه الطبعة مع مقارنتها بطبعة أقلاديوس لبيب عام ١٩٠٨.

كلها منذ بدايتها تفرق بين الإبصلمودية السنوية والكيهكية، وحدث هذا منذ أول طبعة للعالِم القبطي أقلاديوس لبيب، حينما طبع كتابي الإبصلمودية السنوية في سنة ١٩٠٨ والكيهكية في جزئين في سنة ١٩١١ .

ويختلف ترتيب بداية الثيؤطوكيات من طبعة لأخرى، ففي طبعة أقلاديوس لبيب نجد أن الثيؤطوكيات تبدأ بثؤطوكية الأحد وتنتهي بالسبت، لكن في طبعات أخرى لكتاب الإبصلمودية نجد أنها تبدأ بثيؤطوكية الإثنين وتنتهي بالأحد.

ويحتوي كتاب الإبصلمودية على الهوسات، والإبصاليات، والثيؤطوكيات، وذوكصولوجيات باكر، والذوكصولوجيات الخاصة بالأعياد السيدية، والسيدة العذراء، والملائكة والقديسين ... إلخ. وأقدم وصف لمحتويات كتاب الإبصلمودية نجده في الباب السادس عشر من موسوعة ابن كبر الشهيرة "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة"، والأجزاء الأساسية في الإبصلمودية الحالية تتطابق مع ما ذكره ابن كبر، حيث يذكر الهوسات الأربعة والثيؤطوكيات السبع والإبصاليات السبع الموجودة حاليًّا بين أيدينا[٣٤].

مخطوطات الإبصلمودية[٣٥]

إذا رجعنا للمخطوطات الخاصة بالإبصلمودية، سواء السنوية أو الكيهكية، نجد أن أقدم مخطوطات معروفة لدينا يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي (١٣٧٠ ـ ١٣٧٨م)، وهو مخطوط ٣٨ قبطي من مكتبة الفاتيكان، وهو إبصلمودية سنوية قبطي ـ عربي[٣٦]؛ ومخطوط رقم ٨ قبطي بالمكتبة الوطنية بفينا بالنمسا، وهو إبصلمودية كيهكي قبطي صعيدي.

بعد ذلك توجد مخطوطات من القرن الخامس عشر الميلادي، مثل

---

[34] Wadi Abū al-Līf, Abū al-Barakāt Ibn Kabar, *Miṣbāh al-Ẓulmah* (cap. 16: La preghiera del giorno e della notte), in: *Studia Orientalia Christiana Collectanea* 35-36 (2002-2003), pp. 365-466.

[٣٥] لمعرفة مزيد عن مخطوطات الإبصلموديات في مكتبات مصر والعالم، انظر: الراهب القسّ أثناسيوس المقاريّ، "تسبحة نصف اللّيل والسّحر"، (طقوس وأسرار وصلوات الكنيسة ٣/٣)، القاهرة ٢٠١١، ص ٣٦٩-٣٩٣.

36 Quecke, *Untersuchungen*, p. 84.

المخطوط رقم ٣ قبطي بالمكتبة الوطنية بفينا بالنمسا، والذي يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الخامس عشر (١٢٠٢ للشهداء = ١٤٨٦ للميلاد) وهو إبصلمودية كيهكية قبطي صعيدي، والمخطوط رقم ٣٤ قبطي في المكتبة الوطنية بباريس بفرنسا (١٤٠٩م)، والمخطوط رقم ٢٩٨ ليتورجي بمكتبة المتحف القبطي بالقاهرة (ق ١٥).

وهناك مخطوطات من القرن السادس عشر الميلادي، مثل المخطوط رقم ١١ قبطي من المكتبة الوطنية بباريس بفرنسا (١٥١٨م)، والمخطوط رقم ٧٦ قبطي من المكتبة الوطنية بباريس بفرنسا (١٥٦٥م)، والمخطوط رقم ١٠٠ OR من مكتبة أُكسفورد (١٥٩٠ م)، والمخطوط رقم ٥٢٦ طقس من مكتبة دير الأنبا أنطونيوس (١٥٢٢).

بعد ذلك توجد مئات المخطوطات الخاصة بالإبصلمودية في مصر والخارج، سواء السنوية منها أو الكيهكية، والتي يمكن أن يتعرف إليها الباحث من خلال فهارس المخطوطات القبطية الموجودة في كل متاحف ومكتبات العالم تقريبًا[٣٧].

الاستخدام الليتورجي اليوم لكتاب الإبصلمودية في الكنيسة القبطية

يلعب كتاب الإبصلمودية اليوم دورًا رئيسًا في العبادة في الأديرة القبطية، فهو مع كتاب الأجبية يمثلان كتابي الصلوات والتسابيح اليومية، سواء أقيمت الليتورجية أم لا. وترتل الإبصلمودية مرتين في اليوم الواحد: الأولي في تسبحة عشية، والثانية في تسبحة نصف الليل وباكر، وتستخدم كذلك في رفع بخور عشية وباكر. يوميًّا يستيقظ الآباء الرهبان حوالي الساعة الرابعة صباحًا للتسبيح والترتيل، وفي أيام الآحاد يكون الاستيقاظ حوالي الثانية

[٣٧] انظر على سبيل المثال لمخطوطات الإبصلمودية، سواء السنوية منها أو الكيهكية الموجودة بمكتبة البطريركية بالقاهرة:

Markus Simaika, *Catalogue of the Coptic and Arabic Manuscripts in the Coptic Museum, the Patriarchate, the Principal Churches of Cairo and Alexandria and the Monasteries of Egypt*, vol. 2, Fasc. 1, Cairo 1942.

صباحًا للقيام بصلوات نصف الليل والتسبحة[٣٨]. أما تسبحة العشية فتكون حوالي الرابعة مساءً، وتسبقها صلوات التاسعة والغروب والنوم والستار.

وكما ذكرتُ، فإن كتاب الإبصلمودية يلعب دورًا مهمًّا في حياة العبادة والتسبيح في الكنيسة القبطية، ولكن استخدامه يختلف فيما بين الأديرة الموجودة في الصحاري والكنائس الموجودة في المدن والقرى. ففي الوقت الذي يُستخدم فيه كتاب الإبصلمودية في الأديرة بشكل يومي (باستثناء أربعة أيام البصخة، من الإثنين إلى الأربعاء، ويوم الجمعة العظيمة) نجد أن الأمر ليس هكذا في الكنائس، حيث لا يوجد نظام ثابت في إقامة تسبحة نصف الليل أو العشية. ونستطيع القول أن كتاب الإبصلمودية يُستخدم مرتين في اليوم الواحد: المرة الأولي في تسبحة عشية، والأُخرى في تسبحة نصف الليل. ونظام التسبحة ثابت دائمًا، فهي تبدأ بالهوسات، ثم الإبصالية، ثم الثيؤطوكية، ثم الختام.

ترتيل الإبصلمودية

تُرتَّل الإبصلمودية عادة بطريقة الأنتيفونا خارج الهيكل في الخورس الأول، ويقف المرتلون في صفين: قبليًّا (جنوبًا) أو يمينًا، وبحريًّا (شمالاً)، أى جنوب وشمال الكنيسة، ويكون الترتيل بالتناوب بين خورسين قبليًّا وبحريًّا. وقبلي وبحري هما مصطلحان طقسيان للدلالة على ترتيب بداية الصلوات. وفي الإبصلمودية نجد أن الأرباع الخاصة بالخورس القبلي أمامها حرف (ق) كاختصار لكلمة "قبلي"، والأرباع الخاصة بالخورس البحري ليس أمامها شيء. وكما ذكرت، فإن المرابعة قد تكون بين خورسين، قبلي وبحري. وأحيانا ترتل بين فرد والخورس بالنتاوب، أى بين قمص الدير والخورس كاملاً. أما الأرباع المرتلة بلحن طويل فغالبًا ما تُرتل بطريقة جماعية أو بالتناوب بين الخورسين القبلي والبحري.

---

[٣٨] كان النظام قديمًا مشابها لهذا، فيوحنا كاسيان يخبرنا أنه كان على الرهبان أن يستقظوا عند صياح الديك، أما عند الأنبا شنودة رئيس المتوحدين فكان على الرهبان في الشتاء أن يستقيظوا قبل شروق النهار بساعتين، وفي أيام الآحاد كان يجب عليهم أن يستقظوا قبل الشروق بثلاثة ساعات. انظر Quecke, Ibid, pp. 152, 159

وفي كتابات القديسَيْن باسيليوس وأثناسيوس إشارة واضحة إلي طريقتين من طرق التسبيح في أيَّامهما، وهما: طريقة التسبيح بالمرابعة Antiphona أي نظام الخورسين بحري وقبلي. ويبدو أن هذه الطريقة قد وفدت إلينا من الغرب من خلال القديس أمبروسيوس. أما الطريقة الثانية فهي طريقة المردات Response وفيها يقود الكنيسةَ كلَّها مرنمٌ واحد و يرد عليه الشعب بمرد ثابت، مثل الهوس الثاني[٣٩]. وهاتان الطريقتان لا تزالان باقيتين إلي يومنا هذا.

والعناصر الرئيسة في ترتيب وترتيل التسبحة ثابتة طوال العام، فأولاً تُرتَّل الهوسات، ثم الإبصالية، ثم الثيؤطوكية في النهاية، وبعد ذلك الختام، ثم يتبع ذلك تسبحة باكر ورفع البخور[٤٠].

لا بُدَّ لنا هنا أن نذكر أن كتاب الإبصلمودية بشكله الحالي ومكوناته واستخدامه الليتورجي اليومي لا يتطابق معه أيُّ كتابٍ ليتورجي في أي كنيسة من الكنائس الشرقية القديمة الأخرى[٤١]. نعم، يوجد عند كل الكنائس الأخرى عدد من التسابيح (الهوسات)، وتسابيح للسيد المسيح، وكذلك قطع تخص السيدة العذراء، ولكن أن تجتمع كلُّ هذه التسابيح للسيد المسيح وكلُّ هذه التماجيد لأمه العذراء في كتاب واحد وفي طقس ليتورجي يومي يتم في كل يوم وتُرتَّل فيه كلُّ هذه التسابيح والتماجيد بشكل يومي طوال العام، فهذا لا يوجد إلا في الكنيسة القبطية فقط.

محتويات كتاب الإبصلمودية السنوية

الطبعات الحديثة لكتاب الإبصلمودية تحتوى على الهوسات، والإبصاليات، والثيؤطوكيات، وذوكصولوجيات باكر، والذوكصولوجيات الخاصة بالأعياد السيدية، والسيدة العذراء، والملائكة، والقديسين، وأرباع الدف، وبعض الإبصاليات الخاصة بالأعياد السيدية والمواسم الكنسية،

---

[39] Emile Maher Ishak, Ibid, p. 2024.

[٤٠] سوف يأتي الكلام بمشيئة الرب عن كل هذه القطع في حينه.

[٤١] هناك كتاب في الكنيسة الإثيوبية يُسمى Weddāsē Maryam "مديح مريم"، لكنه مجرد ترجمة للثيؤطوكيات القبطية السبعة، وسوف يأتي الكلام عنه بعد ذلك.

ويختلف عددها من طبعة لأخرى. ولكن القطع الأساسية التي تضمها الإبصلمودية السنوية في كل طبعاتها الحالية هي ما يلي:

١. مقدمة كل صلاة، وهي: البسملة "بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين"، وتمجيدًا للثالوث القدوس "المجد للآب والابن والروح القدس الآن ...إلخ"، والصلاة الربانية، و صلاة الشكر، والمزمور الخمسين.

٢. قطعة ⲧⲉⲛⲟⲏⲛⲟⲩ أى "قوموا [يا بنى النور]". وتُقال هذه القطعة في الأعياد السيدية قبطيًّا وعربيًّا.

٣. قطعة ⲧⲉⲛⲛⲁⲩ "ننظر [إلى قيامة المسيح]" التي تُقال في أيام وآحاد الخماسين المقدسة، وبعد ذلك في الآحاد التالية للخماسين إلى الأحد الأخير في شهر هاتور، وهو السابق لشهر كيهك الذى ينفرد بتسابيح خاصة .

٤. الهوسات الأربعة: الأول منها عبارة عن تسبحة موسى النبي التي ورد ذكرها في سفر الخروج ١: ١٥ ـ ٢٧، ويُقال هذا الهوس بلحن آدام، ثم لُبش الهوس الأول ϧⲉⲛ ⲟⲩⲯⲱⲧ. الهوس الثاني يتألف من المزمور ١٣٥ ويقال بلحن آدام أيضًا، ويليه لُبش على الهوس الثاني وبدايته "فلنشكر المسيح إلهنا مع المرتل داود ...". ويُقال هذا اللبش بطرق مختلفة، منها لحن مثل لحن ϧⲉⲛ ⲟⲩⲯⲱⲧ (لبش الهوس الأول)، ويُقال بلحن خاص في شهر كيهك، كما أن له لحنًا أكثر شهرة، وهو الذي نرتله حاليًّا. الهوس الثالث، وهو عبارة عن تسبحة الثلاثة فتية القديسين والتي ورد ذكرها في الأسفار القانونية الثانية، في الجزء الثاني من سفر دانيال، ويُقال بطريقة الآدام. الهوس الرابع، وهو عبارة عن المزامير ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.

٥. إبصالية واطس تُقال للثلاثة فتية القديسين، وهي من وضع القس سركيس الذي كتب اسمه في آخر الإبصالية.

٦. قطعة ⲧⲉⲛⲟⲩⲉⲃⲓⲛⲥⲱⲕ "نتبعك [بكل قلوبنا]"، وهي مديح للثلاثة فتية

القديسين[٤٢].

٧. المجمع للعذراء والملائكة والرسل والشهداء والقديسين، ويُقال بطريقة الطقس السائد.

٨. الإبصاليات السنوية السبع، لكل يوم من أيام الأسبوع إبصالية، فيما عدا يوم الأحد الذي له إبصاليتان: واحدة للسيدة العذراء، والأخرى للسيد المسيح.

٩. الثيؤطوكيات السبع، لكل يوم من أيام الأسبوع ثيؤطوكية.

١٠. الذوكصولجيات الواطس للعذراء، والملائكة، والرسل، والشهداء، والقديسين.

١١. الختام، وله قطعتان :

الأولى: ختام للأيام الآدام، ونجدها بعد ثيؤطوكية يوم الأحد .

الثانية: ختام للأيام الواطس، ونجدها بعد الشارات الخاصة بيوم السبت .

١٢. ذكصولجيات باكر الآدام، وهي من ترتيب رهبان دير الأنبا أنطونيوس، أما مقدمتها فهي عبارة عن تسبحة الملائكة: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة"، وبقية القطعة تُنسب للقديس أثناسيوس الرسولي وتُسمى δοξολογια μεγαλη أي "الذكصولوجية الكُبري".

١٣. أرباع الناقوس.

١٤. إبصاليات وذكصولوجيات مختلفة تقال في بعض المناسبات المختلفة، ولا سيما الأعياد السيدية والأصوام .

وسوف يأتي الكلام بالتفصيل عن كل قطع الإبصلمودية: الهوسات،

---

[٤٢] انظر: مجلة مدرسة الإسكندرية، "مديح الثلاثة الفتية القديسين، بين الإبصلمودية السنوية المقدسة ومخطوط باريس ٦٨ قبطي"، إعداد د.مجدي رشيدي، السنة الثانية، العدد الثاني مايو – أغسطس (٢٠١٠)، ص ١٩٦-١٩٧.

والإبصاليات، والثيؤطوكيات، في مقالات لاحقة خاصة بها.

الختام

في النهاية نستطيع أن نقول إن كتاب الإبصلمودية، بما فيه من هوسات وإبصاليات وثيؤطوكيات، يعبر عن حياة التسبيح والتقوى في الكنيسة القبطية أقوى تعبير.

أولاً: إن حياة التقوى ليست بعيدة، ولا تكون بمعزل عن ليتورجية الكنيسة، فالتقوى والقداسة التي توجد بمعزل عن الكنيسة وصلواتها وعبادتها ينقصها الكثير، ولم تكن في يوم من الأيام هي نهج الآباء الأقباط.

ثانيًا: ارتباط حياة التسبيح بالنص الكتابي، وهذا ما نراه بوضوح شديد، ليس فقط في الهوسات الأربعة، ولكننا نراه أيضًا في الإبصاليات والثيؤطوكيات. فالاقتباسات الكتابية بها هي أكثر من أن تُحصى. وهنا نرى كيفية فهم واستخدام الكنيسة القبطية للكتاب المقدس، فهو كتاب للعبادة، والحياة الروحية، والتعليم، والعقيدة في آن واحد.

ثالثًا: ارتباط العقيدة بحياة التسبيح والصلاة في كتاب واحد. فكتاب الإبصلمودية، الذي هو كتاب للتسبيح والعبادة، يحوي بين دفتيه شرحًا مبسطًا لعقيدة الخريستولوجيا في الكنيسة القبطية، ويؤكد على لقب العذراء الثيؤطوكوس. فليس هناك تسبيح حقيقي وحياة تقوى حقيقة لا ترتكز على العقيدة السليمة. فالعقيدة هي أساس الحياة الروحية، وإلا ستتحول هذه الحياة إلى درب أو لون من ألوان علم الأخلاق أو الآداب العامة أو "الإتيكيت". وكما ذكرتُ سابقًا، فإن الكتاب المقدس هو واحد، وهو يشمل كلَّ ما نحتاجه لحياةٍ روحية ناضجة وسليمة، فهو يشمل العقيدة، والحياة الروحية، والتسابيح، فلا فصل مطلقًا بين الحياة الروحية والعقيدة والحياة الليتورجية، فكلها منبعها الكتاب المقدس، وتعتمد كلٌّ منها على الأخرى وتشرح كلٌّ منها الأخرى.

وهكذا تمثل الإبصلمودية، وخصوصًا الثيؤطوكيات السبع بها، إيمان

الكنيسة القبطية - في صيغة بسيطة مرتلة - في عقيدة الخريستولوجيا، وكذلك فيما يخص مكانة السيدة العذراء. لذا، فالثيؤطوكيات السبع تمثل أهم جزءٍ عقائدي في هذا الكتاب، ولذلك تحتوي على اقتباسات كثيرة من تعاليم آباء الكنيسة الجامعة[٤٣].

ولكننا ينبغي أن نلاحظ أنه بالرغم من أن الإبصلمودية هي كتاب يعبر عن حياة التقوى القبطية، ويحتوي بداخله على عقائدها، لكنه ليس كتابًا في اللاهوت النظامي لها. وهذا ما نلاحظه في لغة الكتاب، فهي ليست لغة عقائدية تعليمية، مثل لغة المجامع أو الكتب اللاهوتية النظامية، لكن يذكر كتابُ الإبصلمودية عقيدةَ الكنيسة القبطية في موضوعَي الخريستولوجي والماريولوجي وكذا تقوى الكنيسة في شكلٍ شعري كما تحياه الكنيسة وتؤمن به. كذلك لايوجد في كتاب الإبصلمودية أية حرومات أو ذكر للهراطقة أو الهرطقات بالاسم[٤٤].

[٤٣] انظر: مجلة مدرسة الإسكندرية، "دراسة عن مؤلف الثيؤطوكيات القبطية السبعة"، إعداد د.مجدي رشيدي، السنة الثانية، العدد الثاني مايو – أغسطس (٢٠١٠)، ص ١٩٦-١٩٧.

[٤٤] توجد إشارة واحدة وحيدة فقط في ذوكصولوجيات باكر تشير للهراطقة. ففي الربع الخاص بالبابا ديسقوروس نجد "أبونا المعترف أنبا ديسقوروس حارب عن الإيمان ضد الهراطقة". هذه الإشارة تبدو كحالة استثنائية وليست هي منهجية الكتاب، ولا تتكرر. ولا ننسى أن ذوكصولوجيات باكر ليست قديمة قِدَم الثيؤطوكيات.